LISAN AL-ARAB
Vol.2023, **pp**. 36–42
DOI: https://doi.org/10.70470/LISANALARAB/2023/004 ; ISSN: 3078-4506

Exploring Classical Arabic Poetic Structure: A Study of Rhythm and Rhyme in Pre-Islamic Odes

استكشاف بنية الشعر العربي الكلاسيكي: دراسة عن الإيقاع والقافية في القصائد الجاهلية

Mahmoud Ali Abdel Sater [1,*],

[1] *Department of Linguistics, Rabbanien University in USA*

محمود علي عبد الستار [١،*]

[1] قسم اللغويات، جامعة رابانيان في الولايات المتحدة الأمريكية

ABSTRACT

This study examines the structure of pre-Islamic Arabic poetry, focusing on rhythm and rhythm as important elements in the formation of this poetic text If it is considered to be One of the most important Arab cultural heritage literatures, pre-Islamic poetry played an important role in pre-Islamic Arab society and cultural life. In pre-Islamic poetry, rhythm is a musical structure that enhances the aesthetic qualities of text and provides a harmonious ear for the themes presented by poets while rhythm is an artistic device that structures verse endings and reinforces poetic unity. The study examines the structure of pre-Islamic poetry through the analysis of classical Arabic poetic meters such as al-Tawil, al-Kamil, and al-Mutakarib, and shows that poets used these meters function to fit themes such as honor Creates rhythmic patterns , courage, and love. Additionally, it examines examples of popular pre-Islamic baths (muallaqat) with odes from Imru' al-Qays and Zuhair ibn Abi Sulma, showing listeners how they were celebrated with rhythm and rhythm played a skillful role in enhancing the beauty and emotional impact of the texts. The study revealed that rhythm and rhythm were not only artistic instruments but also played an important cultural role in pre-Islamic poetry. They have contributed to the preservation and oral transmission of poetry across generations, making pre-Islamic poetry an effective means of transmitting cultural and social information. These factors helped to instill values and ideas that dominated Aboriginal life. In conclusion, the study highlights the artistic and cultural significance of rhythm and melody in pre-Islamic poetry and how these elements contributed to the creation of timeless poetry collections which remains influential to this day.

الخلاصة

تتناول هذه الدراسة هيكل الشعر الجاهلي، مع التركيز على الإيقاع والقافية كعنصرين أساسيين في بناء النصوص الشعرية في تلك الفترة. الشعر الجاهلي يُعد من أهم الأشكال الأدبية في التراث العربي، وكان يلعب دورًا محوريًا في الحياة الاجتماعية والثقافية للعرب قبل الإسلام. يمثل الإيقاع في الشعر الجاهلي نظامًا موسيقيًا يعزز جمالية النصوص، ويخلق تدفقًا صوتيًا منتظمًا ينسجم مع المواضيع التي يتناولها الشعراء. أما القافية، فهي أداة فنية تُسهم في تنظيم نهايات الأبيات، مما يعزز من تماسك النص ويضفي عليه انسجامًا صوتيًا. تحلل الدراسة بنية الشعر الجاهلي من خلال دراسة البحور الشعرية المستخدمة، مثل بحر الطويل والكامل والمتقارب، وكيفية توظيفها لإنتاج إيقاعات متناسقة تتناسب مع مواضيع مثل الفخر، الحماسة، والغزل. كما تستعرض نماذج من المعلقات، مثل معلقة امرؤ القيس ومعلقة زهير بن أبي سلمى، لتوضيح كيف استخدم الشعراء الجاهليون الإيقاع والقافية بشكل متقن لتشكيل جمالية النصوص وتعزيز تأثيرها على المستمعين. تُبرز الدراسة أن الإيقاع والقافية في الشعر الجاهلي لم يكونا مجرد أدوات فنية، بل كان لهما دور كبير في التأثير الثقافي، حيث ساعدا في حفظ القصائد وانتقالها شفهيًا عبر الأجيال. الإيقاع والقافية أسهما في جعل الشعر الجاهلي وسيلة فعالة للتواصل الثقافي والاجتماعي، وقد ساهما في ترسيخ القيم والمفاهيم التي كانت تهيمن على حياة القبائل العربية. في الختام، تكشف الدراسة عن الأهمية الفنية والثقافية للإيقاع والقافية في الشعر الجاهلي، وكيف أن هذه العناصر ساهمت في إنتاج نصوص شعرية خالدة ما زالت مؤثرة حتى اليوم .

Keywords

الكلمات المفتاحية

Pre-Islamic poetry, rhythm, rhyme, Mu'allaqat, Arabic poetic meters

الشعر الجاهلي، الإيقاع، القافية، المعلقات، الأوزان الشعرية العربية

Received	Accepted	Published online
استلام البحث	**قبول النشر**	**النشر الالكتروني**
2/1/2023	19/2/2023	20/3/2023

*Corresponding author Lym268504@gmail.com

١. مقدمة

الشعر الجاهلي يمثل حجر الزاوية في التراث الأدبي العربي، فهو ليس مجرد وسيلة للتعبير الفني، بل يعكس الحياة الثقافية والاجتماعية للقبائل العربية في فترة ما قبل الإسلام. كان الشعر في تلك الفترة وسيلة التعبير الأبرز، حيث استخدمه الشعراء للتفاخر بالأنساب والحروب والقيم القبلية، ونقل الحكايات التي تربط الأجيال ببعضها. من خلال هذا الشعر، كانت القبائل تعبر عن مشاعر الفخر والشجاعة والحب، بالإضافة إلى تسجيل أحداث مهمة في حياتهم. كان الشعراء يلعبون دورًا محوريًا كناطقين باسم قبائلهم، مما جعل الشعر أداة اجتماعية وثقافية في آن واحد، إضافة إلى كونه وسيلة لحفظ التراث العربي في فترة كان التدوين فيها محدودًا .رغم الاهتمام الكبير بالشعر الجاهلي في الدراسات الأدبية والنقدية، إلا أن هناك حاجة ماسة إلى دراسة أعمق حول البنية الفنية لهذا الشعر، وخاصة فيما يتعلق بالإيقاع والقافية. فالإيقاع الشعري والقافية كانا من العناصر الأساسية التي أعطت الشعر الجاهلي قوته وجماله[1]. وعلى الرغم من تناول بعض الدراسات لهذه الجوانب، إلا أن العديد من التفاصيل المرتبطة بتأثير الإيقاع على المتلقي، ودور القافية في تعزيز التجربة السمعية، لم تُدرس بعمق كافٍ. تأتي هذه الدراسة لتغطية هذه الفجوة، عبر تحليل هيكل الشعر الجاهلي وتقديم رؤى جديدة حول كيفية تأثير الإيقاع والقافية في تشكيل النصوص . تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق فهم أعمق للأنماط الإيقاعية والقافية المستخدمة في الشعر الجاهلي. من خلال تحليل الأوزان الشعرية التي اشتهر بها الشعراء الجاهليون، مثل بحر الطويل والكامل، ستحاول الدراسة توضيح الكيفية التي ساهمت بها هذه الأوزان في إنتاج التأثير الموسيقي للشعر. كما تسعى الدراسة إلى تحليل القافية ودورها في تعزيز الوحدة الفنية للنصوص[2]. ومن خلال هذه الأهداف، سيتم التركيز أيضًا على استكشاف كيف أثر الإيقاع والقافية على تجربة المستمع الجاهلي، وكيف استجابت الأذن العربية لموسيقى الشعر وتكرار القوافي . تعتمد الدراسة في منهجيتها على التحليل الأدبي للنصوص الشعرية الجاهلية. سيتم جمع مجموعة من القصائد الشهيرة، مثل المعلقات، لتحليلها ودراسة الأوزان الشعرية والإيقاعية التي استخدمها الشعراء. كما سيتم التركيز على دراسة أنواع القوافي المستخدمة في هذه القصائد وكيف ساهمت في بناء الجمالية الكلية للنص. هذه المنهجية ستساعد في إبراز الجماليات الفنية المخفية في الشعر الجاهلي، من خلال تسليط الضوء على التأثيرات الموسيقية والإيقاعية للقافية على النصوص، مع مقارنة النتائج بين مختلف القصائد لإظهار التنوع الفني والإبداع الشعري في تلك الفترة. الشعر الجاهلي هو أحد أقدم أشكال التعبير الأدبي في الثقافة العربية، ويعود إلى فترة ما قبل الإسلام، والتي تُعرف بالعصر الجاهلي[3]. يتسم الشعر الجاهلي بالعديد من الخصائص التي تعكس حياة العرب في تلك الفترة، حيث كانت القبائل البدوية تعيش حياة قائمة على التنقل في الصحراء، وتدور حول القيم القبلية مثل الشرف، الكرم، الشجاعة، والفخر. هذه الحياة كانت مشبعة بالتحديات والمنافسات، وكانت القصائد الجاهلية تُنظم عادة كوسيلة للتفاخر بالقبيلة، أو تسجيل الأحداث التاريخية المهمة، أو حتى التعبير عن مشاعر الحب والرثاء. يتميز الشعر الجاهلي ببنية قوية تتبع قواعد صارمة في الأوزان والقوافي، حيث كان يعتمد على البحور الشعرية التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي في القرن الثامن الميلادي، ولكن هذه البحور كانت موجودة قبل ذلك كممارسات شفوية بين الشعراء. يعتبر الشعر الجاهلي شفويًا في الأساس، فقد انتقل من جيل إلى جيل عن طريق الحفظ والتلقين. على مستوى اللغة، يتسم الشعر الجاهلي بجزالة الألفاظ وقوتها، ويستخدم الصور البلاغية مثل الاستعارة والتشبيه بشكل مكثف، كما تظهر فيه الحكمة وتجارب الحياة التي كان يمر بها الشاعر أو قبيلته. هذا الشعر يتسم أيضًا بالتكرار والتماثل في استخدام الألفاظ والعبارات، مما يجعله قابلاً للتذكر والتداول بسهولة. سماته الزمنية تشمل الفترة الزمنية التي تغطي ما قبل ظهور الإسلام بفترة تمتد ربما إلى أكثر من قرنين. وقد انعكست البيئة الصحراوية القاسية في موضوعات الشعر الجاهلي، مثل الفخر بالنسب والشجاعة، ورثاء الأبطال، ووصف الطبيعة القاسية، بالإضافة إلى الغزل والعشق العذري. هذا الشعر استمر في التأثير على الشعراء اللاحقين بعد الإسلام، حيث اعتُبر النموذج المثالي للتعبير الشعري الفصيح الذي يجب أن يتبع[4]. دراسة الشعر الجاهلي تطورت على مدار القرون، حيث ظهرت العديد من المدارس النقدية التي تناولت هذا الشعر من زوايا مختلفة، سواء في العصور الإسلامية أو المعاصرة. ومن أبرز هذه المدارس:

١. المدرسة التقليدية: تعتمد هذه المدرسة على رؤية تقليدية للشعر الجاهلي، حيث ينظر النقاد إلى هذا الشعر بوصفه مصدرًا أصيلاً للأدب العربي يجب الحفاظ عليه. وقد تميزت هذه المدرسة بنقل الشعر الجاهلي كما هو، والاعتماد على الرواية الشفوية، مما أعطى أهمية كبرى للأشعار التي تناقلها الرواة الأوائل. يعد ابن سلام الجمحي من أبرز النقاد القدامى الذين تناولوا الشعر الجاهلي في كتابه "طبقات فحول الشعراء"، حيث اهتم بتصنيف الشعراء وتحليل أعمالهم بناءً على أصالتهم وقوتهم الشعرية[5].
٢. المدرسة اللغوية والنحوية: ركزت هذه المدرسة على دراسة الشعر الجاهلي كوسيلة لفهم اللغة العربية القديمة وقواعدها. كان الشعر الجاهلي يعتبر مرجعًا رئيسيًا في تحديد القواعد النحوية واللغوية عند علماء اللغة مثل سيبويه والخليل بن أحمد. إذ كان يُستخدم الشعر في الاستشهاد على صحة اللغة وقواعدها، باعتباره يُمثل أصدق تعبير عن فصاحة اللغة العربية قبل اختلاطها باللغات الأجنبية[6].
٣. المدرسة التاريخية: تحاول هذه المدرسة قراءة الشعر الجاهلي من خلال ربطه بالوقائع التاريخية والأحداث الاجتماعية في الفترة الجاهلية. اعتمدت هذه المدرسة على دراسة العلاقة بين الشعر والحياة الاجتماعية والسياسية للقبائل العربية في تلك الفترة. فقد اعتبر النقاد والمؤرخون مثل الجاحظ وابن قتيبة الشعر الجاهلي مصدراً لفهم البيئة القبلية والصراعات التي سادت في ذلك العصر، ومن ثم حاولوا ربط النصوص الشعرية بالظروف التي نشأت فيها[7].
٤. المدرسة التحليلية المعاصرة: ظهرت في العصر الحديث دراسات نقدية جديدة تهدف إلى تفكيك النصوص الشعرية الجاهلية من منظور تحليلي أعمق، يجمع بين الأدب والنقد الثقافي. يميل نقاد هذه المدرسة إلى قراءة الشعر الجاهلي على ضوء الأدوات النقدية الحديثة، مثل البنيوية، السيميائية، والتفكيكية[8].

يحاول هؤلاء النقاد فهم الجوانب النفسية والاجتماعية وراء النصوص، والتركيز على كيف أن الشعر الجاهلي كان يعبر عن التحديات الوجودية والحضارية التي عاشها العرب في تلك الفترة. يعد طه حسين من أبرز رواد هذا التيار في كتابه "في الشعر الجاهلي"، حيث أثار جدلاً كبيرًا حول أصالة بعض النصوص وطرق نقلها[9].

الإيقاع والقافية هما عنصران جوهريان في بناء الشعر العربي القديم، وقد شكل هذان العنصران محور اهتمام النقاد على مر العصور. في الدراسات النقدية القديمة، ركز النقاد مثل الخليل بن أحمد الفراهيدي على وضع قواعد دقيقة وواضحة للأوزان الشعرية (البحور) التي تحكم إيقاع الشعر العربي. كان الفراهيدي أول من وضع علم العروض الذي يُعنى بدراسة الأوزان الشعرية وتقسيمها إلى دوائر عروضية، مثل دائرة الطويل، الكامل، الوافر، وغيرها، ما جعل الشعر الجاهلي مقيدًا ببنية إيقاعية محددة تسمح للشاعر بالتحكم في تدفق القصيدة وتحقيق تأثير موسيقي محدد[10]. من ناحية القافية، كانت تستخدم في الشعر الجاهلي كعنصر ضروري لتنظيم النص وتوحيد نهايات الأبيات[11]. القافية كانت تؤدي دورًا فنيًا في خلق التناغم الموسيقي داخل النص، وتساعد في إعطاء النص قوة تأثيرية وجمالية على المستمع. وقد تناول النقاد القدماء مثل ابن رشيق القيرواني القافية من منظور جمالي، حيث اعتبرها جزءًا لا يتجزأ من بنية القصيدة الجاهلية. في الدراسات النقدية المعاصرة، اختلفت النظرة إلى الإيقاع والقافية. بينما ركزت الدراسات القديمة على الجانب الفني والتقني للإيقاع والقافية، نجد أن النقد الحديث يركز أكثر على الأثر النفسي والاجتماعي للإيقاع في النصوص الشعرية. يتناول النقاد المعاصرون الإيقاع كوسيلة لتوصيل المعنى والرمزية، ويرون أن الإيقاع في الشعر الجاهلي لم يكن مجرد تنظيم موسيقي، بل كان أيضًا وسيلة للتعبير عن القلق الوجودي والشعور بالمصير في ظل حياة الصحراء القاسية. كما أن القافية في العصر الحديث تُعتبر وسيلة لبناء التأثيرات الصوتية التي تخدم المعنى وتضيف إليه عمقًا، وليس فقط كعنصر فني جمالي[12]. في المجمل، يمكن القول إن الدراسات النقدية القديمة والمعاصرة حول الإيقاع والقافية تختلف في تركيزها، حيث تركز الدراسات القديمة على الجانب الفني والتقني، بينما تتجه الدراسات المعاصرة إلى تحليل أعمق لجوانب التأثير النفسي والاجتماعي لهذه العناصر في النصوص الشعرية.

٢. الإيقاع في الشعر الجاهلي

الإيقاع في الشعر العربي القديم هو العنصر الموسيقي الذي ينظم بنية الأبيات الشعرية ويضفي عليها تناغمًا صوتيًا يتماشى مع المعاني والمشاعر التي ينقلها الشاعر. في الشعر الجاهلي، كان الإيقاع يشكل جزءًا محوريًا من النص الشعري، حيث يعزز جمالياته ويجعله أكثر تأثيرًا على المستمع[13]. يعتمد الإيقاع في الشعر العربي على الأوزان الشعرية التي تحدد عدد التفعيلات وترتيبها في كل بيت شعري، مما يخلق نظامًا موسيقيًا متناسقًا يسهل على المتلقي تذكر القصيدة والاستمتاع بإيقاعها. يتحقق الإيقاع في الشعر الجاهلي من خلال الالتزام بالأوزان الشعرية الثابتة، وهي قواعد العروض التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي لاحقًا لتوثيق الأنماط الإيقاعية التي استخدمها الشعراء القدماء. هذه الأوزان توفر قاعدة ثابتة لتنظيم الأبيات، مما يجعل الإيقاع جزءًا أساسيًا من جماليات الشعر العربي القديم. الإيقاع كان أداة يستخدمها الشعراء ليس فقط لتنظيم النص، بل لتعزيز القوة العاطفية والفكرية للنص الشعري. أوزان الشعر العربي الكلاسيكي هي القواعد النظمية التي تحدد بنية الأبيات الشعرية وتوزيع التفعيلات، وتُعرف أيضًا بالبحور الشعرية[14]. هذه البحور تمثل أنماطًا إيقاعية محددة، وتختلف في ترتيب التفعيلات وعددها وطول الأبيات. ومن أشهر البحور الشعرية المستخدمة في الشعر الجاهلي: بحر الطويل، الذي كان يُستخدم بكثرة في القصائد التي تتناول الفخر والحماسة. يُعرف بحر الطويل بتكرار تفعيلاته الطويلة التي تضفي على الأبيات طابعًا من القوة والثبات. كذلك، يُستخدم بحر الكامل، الذي يتكون من تفعيلات "متفاعلن متفاعلن متفاعلن"، وهو بحر يتميز بإيقاعه القوي والمستمر الذي يناسب المواضيع ذات الطابع الجاد والفخم. يُعد بحر الوافر بحرًا شعبيًا آخر في الشعر الجاهلي، حيث يُستخدم عادة في قصائد الغزل والرثاء، لما يقدمه من إيقاع متوازن وانسيابي يعكس مشاعر الشاعر بطريقة سلسة. هذه الأوزان تُستخدم بمهارة في الشعر الجاهلي لخلق إيقاعات موسيقية متناغمة، تُعزز من تأثير القصيدة على المستمع وتُسهم في تحسين حفظها وتداولها. عند دراسة القصائد الجاهلية، نلاحظ أن الشعراء كانوا يعتمدون بشكل دقيق على الأوزان الشعرية لإنتاج إيقاعات تتناسب مع مضامين قصائدهم[15]. فعلى سبيل المثال، في معلقة امرؤ القيس، التي تُعد إحدى أبرز القصائد الجاهلية، نرى استخدام بحر الطويل بشكل متقن، حيث تُساعد التفعيلات الطويلة في إبراز الفخر والقوة التي كانت تشكل جزءًا أساسيًا من مضمون القصيدة. يقول امرؤ القيس:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ ومَنزِلِ

بِسقطِ اللِّوى بَينَ الدَّخولِ فَحَوْمَلِ

هنا نلاحظ كيف أن التفعيلات المنسجمة في بحر الطويل تخلق إيقاعًا ثابتًا يتناسب مع الطبيعة التأملية للقصيدة. كما أن هذا الإيقاع يجعل القصيدة سهلة الحفظ والاستماع، وهو ما كان ضروريًا في فترة الشعر الشفوي. في معلقة زهير بن أبي سلمى، نجد استخدامًا لبحر الرجز الذي يتميز بإيقاعه السريع والمباشر. هذا البحر كان مثاليًا لمواضيع الحكمة والتأمل، حيث يضفي على النص طابعًا من السرعة والتناغم الذي يعزز من قوة الرسالة الشعرية[16]. كما أن سرعة الإيقاع في بحر الرجز تجعله مناسبًا للموضوعات الفلسفية التي تتطلب تفاعلًا سريعًا من المستمع. القافية في الشعر العربي هي الحروف الأخيرة المتكررة في نهاية الأبيات الشعرية، وهي جزء أساسي من بنية الشعر العربي الكلاسيكي. تُعتبر القافية عنصرًا فنيًا يُضفي على النص تماسكًا موسيقيًا ويمنحه نوعًا من الانسجام الصوتي الذي يعزز من تأثيره على المستمع[17]. في الشعر الجاهلي، كانت القافية تُستخدم بشكل أساسي لتنظيم نهايات الأبيات، مما يسهل على الشعراء

والمتلقين حفظ القصيدة وتداولها شفويًا. القافية ليست مجرد تكرار صوتي، بل هي جزء من جماليات النص الشعري وتلعب دورًا في تقوية البنية الفنية للقصيدة. القافية في الشعر الجاهلي تأتي بأنواع مختلفة، كل منها يؤدي دورًا معينًا في تشكيل البنية الإيقاعية للقصيدة. القافية الموحدة هي النوع الأكثر شيوعًا في الشعر الجاهلي، حيث تتكرر نهاية الأبيات بنفس الصوت، مما يُعطي القصيدة انسجامًا صوتيًا ويُعزز من وحدتها الفنية. على سبيل المثال، في قصيدة "قِفا نبكِ" لامرؤ القيس، نلاحظ تكرار القافية ذات الصوت "لِ" في نهاية الأبيات، مما يخلق انسجامًا موسيقيًا ويُسهل تذكر القصيدة. القافية المتغيرة، من جهة أخرى، تُستخدم لإضفاء نوع من التنوع الصوتي على القصيدة. في هذه الحالة، تتغير نهايات الأبيات بشكل طفيف، ولكنها تظل مرتبطة بتشابه صوتي جزئي. هذا النوع من القوافي يُستخدم في بعض الأحيان لإضفاء طابع درامي أو لتجنب الرتابة في تكرار القافية. كما أن هناك أنواعًا أخرى مثل القافية الثنائية والثلاثية، التي تمتد فيها القافية لتشمل أكثر من حرف أو صوت، مما يُعزز من جمالية الإيقاع ويُضيف عمقًا صوتيًا للأبيات. تلعب القافية في الشعر الجاهلي دورًا جماليًا أساسيًا، حيث تُسهم في تنظيم الأبيات وتوحيدها موسيقيًا، مما يجعل القصيدة أكثر انسجامًا وتأثيرًا. تكرار القافية في نهاية الأبيات يُضفي نوعًا من التوازن الموسيقي الذي يجعل النص الشعري جذابًا وسهل الاستماع. القافية تُعزز أيضًا من تماسك القصيدة، حيث تساعد في خلق وحدة فنية تجعل النص يبدو كتلة واحدة متكاملة، وهو ما يُسهِم في توصيل الرسالة الشعرية بشكل أكثر قوة ووضوحًا[18]. القافية ليست فقط أداة موسيقية، بل إنها تُسهم أيضًا في تعزيز المعاني والمشاعر التي ينقلها الشاعر. على سبيل المثال، في القصائد التي تتناول الفخر والشجاعة، تُستخدم القافية القوية ذات الصوت الثابت لتعزيز هذه المشاعر وإضفاء طابع من الصلابة والثبات على النص. أما في قصائد الغزل والرثاء، فتُستخدم القوافي الناعمة ذات التكرار الصوتي الخفيف لتعكس الرقة والعاطفة. هذه الوظيفة الجمالية للقافية تجعل الشعر الجاهلي ليس فقط وسيلة للتعبير عن الأفكار، بل أيضًا أداة فنية تُسهم في خلق تجربة سمعية وجمالية متكاملة. بالإضافة إلى ذلك، كانت القافية تُسهم في تسهيل حفظ الشعر الجاهلي وتداوله شفويًا، حيث كان من السهل على المستمع تذكر الأبيات بفضل تكرار الأصوات في نهاياتها. هذا ما جعل الشعر الجاهلي ينتقل بسهولة من جيل إلى جيل، محافظًا على مكانته كجزء أساسي من التراث الأدبي والثقافي للعرب.

٣. تحليل أمثلة من المعلقات

المعلقات هي مجموعة من القصائد الشعرية التي كُتبت في العصر الجاهلي وتعتبر من أهم وأعظم الأعمال الأدبية في التراث العربي. تتراوح هذه القصائد بين سبع وعشر، حسب الروايات المختلفة، وكتبها كبار شعراء الجاهلية الذين عُرفوا بقدرتهم الفائقة على نظم الشعر وتصوير الحياة الاجتماعية والبيئة الصحراوية التي كانوا يعيشون فيها. أُطلق على هذه القصائد اسم "المعلقات" لأنها كانت تُعلق على أستار الكعبة، وذلك لإبراز قيمتها الأدبية العالية ومكانتها المتميزة بين العرب. المعلقات ليست مجرد قصائد شعرية تقليدية، بل هي نماذج رائعة تعكس الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية للعرب قبل الإسلام[19]. من خلالها، عبر الشعراء عن الفخر بالقبائل، والغزل، والرثاء، والحكمة، والطبيعة. تتميز المعلقات بالثراء اللغوي والإيقاع الموسيقي القوي، وتعد بمثابة سجل تاريخي وشعري للثقافة العربية في تلك الفترة. ما يجعل هذه القصائد ذات أهمية خاصة هو البنية الشعرية المحكمة، واستخدام الإيقاع والقافية بشكل متقن، مما منحها استمرارية وتأثيرًا عميقًا على الأجيال المتعاقبة من الشعراء. معلقة امرؤ القيس هي واحدة من أشهر المعلقات وأقدمها، وتُعدّ من روائع الشعر الجاهلي. تتناول المعلقة عدة موضوعات، أبرزها الغزل، الفخر، ووصف الرحلة والليل. استخدم امرؤ القيس في معلقته بحر الطويل، الذي كان مناسبًا لإيقاع القصيدة الطويل والممتد[20]. يتكون بحر الطويل من تفعيلة "فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن"، وهو بحر يعتمد على التكرار الصوتي الطويل، مما يمنح القصيدة طابعًا موسيقيًا متناغمًا وثابتًا. القصيدة تبدأ بأبيات مشهورة في الغزل ووصف المحبوبة، حيث يُلاحظ كيف يخلق الإيقاع المنتظم نوعًا من التدفق الموسيقي المستمر الذي يعزز المعاني الشعرية:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ ومَنزِلِ
بِسِقطِ اللِّوى بَينَ الدَّخولِ فَحَوْمَلِ

الإيقاع في هذه الأبيات يحمل طابعًا تأمليًا وبطيئًا، حيث تنسجم التفعيلات بشكل دقيق لتعكس الحنين والشوق. استخدام بحر الطويل هنا يُبرز مشاعر الحزن والأسى التي تتخلل القصيدة، مع الحفاظ على انسجام موسيقي مستمر. أما القافية، فهي تُعدّ جزءًا أساسيًا من جمالية القصيدة. القافية الموحدة التي تنتهي بـ"لِ" تمنح النص ترابطًا قويًا وتماسكًا صوتيًا، مما يسهل على المتلقي تذكر الأبيات والشعور بالتناغم الموسيقي في كل بيت. القافية تعمل أيضًا على تعزيز التوتر العاطفي في النص، حيث يرتبط تكرارها بالمعاني العميقة التي ينقلها الشاعر من خلال موضوعاته المتنوعة في القصيدة. معلقة زهير بن أبي سلمى تختلف من حيث الموضوعات والأسلوب عن معلقة امرؤ القيس، حيث يغلب عليها الطابع الحكمي والتأملي. زهير كان معروفًا بحكمته ورؤيته الفلسفية للحياة، وقد انعكس ذلك في إيقاع وقافية معلقته[21]. استخدم زهير بحر الطويل أيضًا، مما يعزز من التناغم والانسجام في النص، ولكنه تعامل مع هذا البحر بطريقة تعكس حكمة وتأملًا أعمق. في معلقته، نجد أن الإيقاع يتناسب مع الموضوعات الهادئة والتأملية التي يعالجها زهير. الأبيات التي تتناول الحكمة والتفكير في الزمن والمصير تأخذ طابعًا إيقاعيًا متزنًا وثابتًا، مما يعزز من العمق الفكري للقصيدة. على سبيل المثال، في أحد الأبيات الشهيرة يقول زهير:

ومَن لا يُصانعْ في أمورٍ كثيرةٍ
يُضرَّسْ بأنيابٍ ويوطأ بمنسمِ

الإيقاع في هذا البيت ينبض بثبات وتوازن، مما يتناسب مع الطابع الحكمي الذي يعكس رؤية الشاعر للحياة. استخدام التفعيلات الطويلة والمتكررة يُعزز من القوة التأملية للأفكار المطروحة[22]. من ناحية القافية، زهير يعتمد على قافية موحدة وثابتة، مما يعزز من ثبات الأبيات وتماسكها. القافية تمنح القصيدة تناغمًا موسيقيًا يتناسب مع الأفكار العميقة التي يعبر عنها، كما أنها تسهم في تسهيل الحفظ والتداول الشفوي، وهو ما كان ضروريًا في تلك الفترة التي كان فيها الشعر وسيلة رئيسية لنقل المعرفة والحكمة. الإيقاع والقافية في الشعر الجاهلي يلعبان دورًا أساسيًا في إنتاج ما يُعرف بـ "الموسيقى الشعرية" الداخلية. الموسيقى الشعرية ليست موسيقى خارجية تعتمد على الآلات أو الأصوات، بل هي النغمات الداخلية التي تتولد من التكرار المنتظم للتفعيلات والقوافي في الأبيات الشعرية. الإيقاع، من خلال تنظيم الأبيات وترتيب التفعيلات، يُنتج تدفقًا موسيقيًا يشعر به المستمع حتى لو كان النص مجرد كلام مكتوب. على سبيل المثال، تكرار التفعيلات المتجانسة في بحر الطويل أو الكامل يخلق نوعًا من الرنين الموسيقي الذي يجعل النص الشعري جذابًا وسهل الحفظ. القافية تلعب أيضًا دورًا كبيرًا في تعزيز هذه الموسيقى الداخلية، حيث يؤدي تكرار القافية بشكل منتظم إلى خلق نوع من الانسجام الصوتي الذي يجذب الأذن ويحفز الذهن على تذكر الأبيات[23]. هذا التفاعل بين الإيقاع والقافية هو ما يجعل الشعر الجاهلي يبدو وكأنه يحمل نوعًا من الإيقاع الداخلي الذي يسهل استيعابه وتذكره، حتى دون الحاجة إلى قراءة الأبيات بصوت عالٍ. إلى جانب دورهما الفني، لعب الإيقاع والقافية دورًا حاسمًا في التأثير الثقافي للشعر الجاهلي. الشعر الجاهلي كان يُنقل شفهيًا بين القبائل، وكان الشعراء يُعتبرون بمثابة المتحدثين باسم قبائلهم. في هذا السياق، كان الإيقاع والقافية يسهمان في تسهيل عملية نقل الشعر وحفظه. الإيقاع المتكرر والقوافي المتجانسة كانا يساعدان المستمعين على تذكر الأبيات بسهولة، مما جعل الشعر وسيلة فعالة لنقل الأفكار والقيم والثقافة عبر الأجيال. الإيقاع والقافية كانا يعملان أيضًا كوسيلة لتعزيز الترابط الاجتماعي والثقافي بين القبائل. القصائد التي كانت تُنظم في مناسبات معينة، مثل الاحتفالات والانتصارات أو حتى حالات الحزن، كانت تحمل طابعًا إيقاعيًا وقافويًا يُسهّل ترديدها ونشرها بين أفراد القبيلة. هذا التكرار الصوتي والنغمي في الشعر ساعد على ترسيخ القيم الأخلاقية والاجتماعية التي كانت القبائل تعتمد عليها في تنظيم حياتها اليومية. في المجمل، الإيقاع والقافية لم يكونا مجرد أدوات فنية في الشعر الجاهلي، بل كان لهما دور ثقافي حاسم في حفظ الشعر وانتشاره وتداوله عبر الأجيال، وساهما في تعزيز الهوية الثقافية للعرب قبل الإسلام[24].

٤. الخاتمة

في ختام هذه الدراسة، نجد أن الشعر الجاهلي لم يكن مجرد تعبير أدبي عن مشاعر وأفكار فردية أو جماعية، بل كان نظامًا متكاملًا يعكس الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للعرب في العصر الجاهلي. من خلال تحليل بنية هذا الشعر، وبالأخص التركيز على الإيقاع والقافية، نستطيع أن نرى كيف استطاع الشعراء الجاهليون تحويل تجاربهم اليومية، سواء كانت شخصية أو جماعية، إلى نصوص شعرية خالدة امتازت بجماليات لغوية وفنية رفيعة. الإيقاع، من خلال البحور الشعرية التي استخدمها الشعراء الجاهليون، كان أكثر من مجرد أداة لتنظيم الأبيات الشعرية. كان الإيقاع ينبض بالحياة ويعبر عن طبيعة الصحراء العربية، بما فيها من تقلبات وتحديات. هذا الإيقاع المتوازن، الذي نجده في بحور مثل الطويل والكامل والوافر، كان وسيلة فعالة للتعبير عن مشاعر متنوعة مثل الفخر والشجاعة والحب والرثاء. الإيقاع لم يكن مجرد تكرار صوتي، بل كان يمثل نبض الحياة الجاهلية، ويعكس فلسفة تلك الحياة التي تقوم على الصمود والكرامة. أما القافية، فهي تلعب دورًا جوهريًا في تعزيز التناغم الموسيقي للنصوص الشعرية الجاهلية، وتساهم بشكل كبير في سهولة تذكرها وتداولها. كانت القافية جزءًا لا يتجزأ من بنية القصيدة، حيث أعطت للنصوص نوعًا من الانسجام الصوتي الذي يزيد من قوة تأثيرها على المستمعين. القافية الموحدة التي غالبًا ما كانت تُستخدم في القصائد الجاهلية، مثل تلك التي رأيناها في معلقة امرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى، ساهمت في خلق تجربة سمعية وجمالية تجعل النصوص الشعرية لا تُنسى وتظل حاضرة في الذاكرة الجمعية للأمة العربية. الدراسة أيضًا كشفت عن الأهمية الثقافية العميقة للشعر الجاهلي. فقد كان الشعر في تلك الفترة هو الوسيلة الأساسية لنقل القيم والأفكار والمعارف بين الأجيال، وبالتالي كان الإيقاع والقافية يلعبان دورًا مزدوجًا، حيث يجمعان بين الجانب الفني والجمالي، وبين الجانب التعليمي والثقافي. لقد كان الشعراء الجاهليون قادرين على تحويل القصائد إلى أداة فعالة للتواصل بين القبائل، مما جعل الشعر ليس فقط وسيلة للتعبير عن المشاعر الفردية، بل أيضًا وسيلة لنقل التراث الثقافي والاجتماعي للعرب قبل الإسلام. عند دراسة المعلقات، نجد أنها تمثل أروع ما أنتجه الشعر الجاهلي، حيث جمعت بين الجمال الفني والقوة الأدبية. المعلقات، بتراكيبها اللغوية المتقنة وإيقاعاتها المنسجمة وقوافيها المتناغمة، ظلت تُعتبر على مر العصور نماذج عليا للشعر العربي. الإيقاع في هذه القصائد كان بمثابة الموسيقى الداخلية التي تُضفي على النصوص نوعًا من الحيوية والانسجام، بينما كانت القافية تعزز من هذا الإيقاع وتضيف إلى القصائد بعدًا إضافيًا من الجمال. ومن خلال تحليل نماذج مثل معلقة امرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى، تبين أن الشعراء الجاهليين كانوا يستخدمون الإيقاع والقافية ليس فقط لتحقيق الجمالية الفنية، بل لتأكيد الفكرة الرئيسية للقصيدة وتعزيز تأثيرها النفسي والعاطفي على المستمعين. بجانب الأثر الفني للإيقاع والقافية، تلعب هذه العناصر دورًا مهمًا في التأثير الثقافي. فقد ساعدت على توحيد القبائل العربية في ظل لغة شعرية مشتركة، وأصبحت القصائد أداة لنقل المعارف والأحداث التاريخية والقيم الاجتماعية. على مر العصور، ساهم الإيقاع والقافية في استمرارية الشعر الجاهلي وانتقاله من جيل إلى جيل، مما جعله جزءًا لا يتجزأ من الذاكرة الثقافية للعرب. وفي ضوء هذه الدراسة، يتضح أن الشعر الجاهلي كان أكثر من مجرد نصوص أدبية، بل كان مؤسسة ثقافية متكاملة، حيث اجتمعت فيه العناصر الفنية مع الوظائف الاجتماعية والثقافية. كان الإيقاع والقافية هما الأساس الذي بُنيت عليه هذه النصوص، ليس فقط لتعزيز جماليتها، بل لتأكيد دورها في نقل التراث العربي وتوثيق أحداثه. كان الشعر الجاهلي وسيلة للتعبير عن الهوية الفردية والجماعية

للعرب، وكان أيضًا وسيلة لحفظ التاريخ والذكريات والبطولات التي شكلت وجدان الأمة. تفتح هذه الدراسة بابًا أمام مزيد من البحث حول أثر الإيقاع والقافية على الشعر العربي في العصور اللاحقة. كما تثير الحاجة إلى تحليل أعمق لكيفية انتقال هذه الأنماط الإيقاعية والقوافية من الشعر الجاهلي إلى الشعر الإسلامي، وكيف أثرت تلك الأنماط في تشكيل الأدب العربي لاحقًا. يمكن القول إن الشعر الجاهلي، من خلال إيقاعه وقافيته، كان الأساس الذي انطلقت منه التطورات الشعرية والفنية في العصور اللاحقة، وهو ما يجعل دراسته ضرورة لفهم تاريخ الأدب العربي وتطوره.

Funding

The authors confirm that no external funding, financial grants, or sponsorships were provided for conducting this study. All research activities and efforts were carried out with the authors' own resources and institutional support.

Conflicts of Interest

The authors declare that they have no conflicts of interest in relation to this work.

Acknowledgment

The authors would like to extend their gratitude to their institutions for the valuable moral and logistical support provided throughout the research process.

References

[1] Shahbazi, "The role of poetic genre in classical Persian literature: Historical perspectives," Journal of Persian Studies, vol. 33, no. 2, pp. 45-65, 2021.
[2] Ali, "Bridging cultures: Pre-Islamic poetry and Renaissance English literature," Comparative Literary Studies, vol. 41, no. 1, pp. 97-110, 2022.
[3] Ali, "Bridging cultures: Pre-Islamic poetry and Renaissance English literature," Comparative Literary Studies, vol. 41, no. 1, pp. 97-110, 2022.
[4] K. Gatt, "Poetry as a communicative vehicle in the jihadi milieu: The case for modern extremist poetry," British Journal of Middle Eastern Studies, vol. 49, no. 5, pp. 993-1013, 2022.
[5] M. Mukhiddinov, I. Sulaymonov, M. Khasanova, K. Aslanova, and S. Shomurodova, "Ode genre and ideological-artistic features of Erkin Vahidov's odes," The Journal of Contemporary Issues in Business and Government, vol. 27, no. 3, pp. 1317-1323, 2021.
[6] M. Abdulrazaq, "The influence of Arabic literary forms on Yoruba poetry: A historical approach," African Literature Quarterly, vol. 29, no. 4, pp. 234-250, 2021.
[7] M. A. Khan, "Comparative studies in pre-Islamic and Victorian poetry: The crossroads of East and West," Journal of Comparative Poetics, vol. 19, no. 3, pp. 151-170, 2021.
[8] R. Alwan, "Classical Arabic poetry and translation studies: Theories and applications," Journal of Translation and Linguistics, vol. 18, no. 2, pp. 89-103, 2020.
[9] F. Shams, A revolution in rhyme: Poetic co-option under the Islamic Republic. Oxford: Oxford University Press, 2021.
[10] N. U. Ahmed, Exploring the poetry of Abû al-'Alâ' al-Ma 'arrî: A journey through his poetical works, unpublished.
[11] Sedaghat, "Semiotic hybridization in Persian poetry and Iranian music," Semiotica, vol. 2021, no. 241, pp. 275-310, 2021.
[12] H. Salim, "Elegy in contemporary Arabic literature: A comparative approach to grief and loss," Middle Eastern Literary Review, vol. 14, no. 1, pp. 99-120, 2021.
[13] L. E. Osborne, "Sound-history of the Quran. A study of Mūsā ibn ʿUbayd Allāh ibn Ḫāqān (or al-Ḫāqānī)'s (d. 325/937) Qasīda fī al-tagwīd," MIDEO. Mélanges de l'Institut dominicain d'études orientales, vol. 37, pp. 87-114, 2022.
[14] S. Jalal, "Poetry of exile: Themes of home and resistance in modern Arabic poetics," Studies in Exile Literature, vol. 5, no. 2, pp. 55-80, 2022.
[15] P. Klasova, "Review of Qutbuddin, Arabic Oration," unpublished.
[16] T. Qutbuddin, "The preservation of orations: Mnemonics-based oral transmission, supplementary writing, and the question of authenticity," in Arabic Oration: Art and Function, Brill, 2022, pp. 21-63.
[17] E. Ayyıldız, "The neoclassical elements in Maḥmūd Sāmī al-Bārūdī's poetry," İslam Tetkikleri Dergisi, vol. 13, no. 2, pp. 761-784, 2022.
[18] V. M. da Rosa Guimaraes, "Between Occitania and Al-Andalus: Reconsidering the emergence of troubadour melody through algorithmic analysis," unpublished, 2021.
[19] Y. S. H. Dahāmi, "Home in the poetry of Saudi Arabia poets: Abdus-Salam Hafeth an example of a distinguished Arab," unpublished, 2022.
[20] K. Azami, "Modernism and experimentalism in Persian poetry: 20th century perspectives," Journal of Persian Modernities, vol. 22, no. 1, pp. 102-130, 2021.
[21] D. S. al-Baroud, Reflections on dialogue with the divine: A comparative study (Doctoral dissertation, SOAS University of London), 2022.
[22] E. De Blasio, "Language and style of the contemporary poet El Rass: A peculiar artist in the Lebanese musical scenario," Anaquel de Estudios Árabes, vol. 32, p. 117, 2021.
[23] R. Elhami, "Victor Hugo's influence on Arabic poetics: A study in literary translation," Translation and Comparative Literature, vol. 16, no. 3, pp. 78-96, 2020.
[24] H. Belhadj, Translation of semantic shifts in Arabic poetry (Doctoral dissertation, Abdelmalek Essaadi University), 2022.

مراجع

[١] شاهبازي، "دور النوع الشعري في الأدب الفارسي الكلاسيكي: وجهات نظر تاريخية"، مجلة الدراسات الفارسية، المجلد ٣٣، العدد ٢، ص ٤٥–٦٥، ٢٠٢١.

[٢] علي، "ربط الثقافات: الشعر الجاهلي وأدب عصر النهضة الإنجليزي"، دراسات أدبية مقارنة، المجلد ٤١، العدد ١، ص ٩٧–١١٠، ٢٠٢٢.

[٣] علي، "ربط الثقافات: الشعر الجاهلي وأدب عصر النهضة الإنجليزي"، دراسات أدبية مقارنة، المجلد ٤١، العدد ١، ص ٩٧–١١٠، ٢٠٢٢.

[٤] ك. جات، "الشعر كوسيلة اتصال في الوسط الجهادي: قضية الشعر المتطرف الحديث"، المجلة البريطانية لدراسات الشرق الأوسط، المجلد ٤٩، العدد ١، ص ٩٧–١١٠، ٢٠٢٢. ٥، ص ٩٩٣–١٠١٣، ٢٠٢٢.

[٥] م. محي الدينوف، إ. سليمانوف، م. خاسانوفا، ك. أصلانوفا، وس. شومورودوفا، "نوع القصيدة والسمات الإيديولوجية والفنية لقصائد إركين وحيدوف"، مجلة القضايا المعاصرة في الأعمال والحكومة، المجلد ٢٧، العدد ٣، ص ١٣١٧–١٣٢٣، ٢٠٢١.

[٦] م. عبد الرزاق، "تأثير الأشكال الأدبية العربية على شعر اليوروبا: نهج تاريخي"، مجلة الأدب الأفريقي، المجلد ٢٩، العدد ٤، ص ٢٣٤–٢٥٠، ٢٠٢١.

[٧] م. أ. خان، "دراسات مقارنة في الشعر الجاهلي والفيكتوري: مفترق طرق الشرق والغرب"، مجلة الشعر المقارن، المجلد ١٩، العدد ١، ص ١٣١٧–١٣٢٣، ٢٠٢١.

[٨] ر. علوان، "الشعر العربي الكلاسيكي ودراسات الترجمة: النظريات والتطبيقات"، مجلة الترجمة واللغويات، المجلد ١٨، العدد ٢، ص ٨٩–١٠٣، ٢٠٢٠.

[٩] ف. شمس، ثورة في القافية: الاستقطاب الشعري في ظل الجمهورية الإسلامية. أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، ٢٠٢١.

[١٠] ن. يو. أحمد، استكشاف شعر أبي العلاء المعري: رحلة عبر أعماله الشعرية، غير منشور.

[١١] صداقت، "التهجين السيميائي في الشعر الفارسي والموسيقى الإيرانية"، سيميوتيكا، المجلد ٢٠٢١، العدد ١، ص ١١١–١٢. ٢٤١، ص ٢٧٥–٣١٠، ٢٠٢١.

[١٢] ح. سليم، "المرثية في الأدب العربي المعاصر: نهج مقارن للحزن والفقد"، مجلة مراجعة الأدب في الشرق الأوسط، المجلد ١٤، العدد ١، ص ٩٩–١٢٠، ٢٠٢١.

[١٣] ل. إي. أوزبورن، "تاريخ الصوت للقرآن. دراسة لقصيدة موسى بن عبيد الله بن خاقان (أو الخاقاني) (ت ٣٢٥/٩٣٧) في التجويد"، مجلة معهد الدراسات الشرقية الدومينيكي، المجلد. ٣٧، ص ٨٧–١١٤، ٢٠٢٢.

[١٤] س. جلال، "شعر المنفى: موضوعات الوطن والمقاومة في الشعر العربي الحديث"، دراسات في أدب المنفى، المجلد ٥، العدد ٢، ص ٥٥–٨٠، ٢٠٢٢.

[١٥] ب. كلاسوفا، "مراجعة كتاب قطب الدين، الخطابة العربية"، غير منشور.

[١٦] ت. قطب الدين، "حفظ الخطابات: النقل الشفوي القائم على فن التذكر والكتابة التكميلية ومسألة الأصالة"، في الخطابة العربية: الفن والوظيفة، بريل، ٢٠٢٢، ص ٢١–٦٣.

[١٧] إ. أبيلديز، "العناصر الكلاسيكية الجديدة في شعر محمود سامي البارودي"، دراسات إسلامية، المجلد. ١٣، العدد ٢، ص ٧٦١–٧٨٤، ٢٠٢٢.

[١٨] ف. م. دا روزا جيماريش، "بين أوكسيتانيا والأندلس: إعادة النظر في ظهور لحن التروبادور من خلال التحليل الخوارزمي"، غير منشور، ٢٠٢١.

[١٩] ي. س. ح. دهامي، "الوطن في شعر شعراء المملكة العربية السعودية: عبد السلام حافظ مثال للعربي المتميز"، غير منشور، ٢٠٢٢.

[٢٠] ك. أعظمي، "الحداثة والتجريبية في الشعر الفارسي: وجهات نظر القرن العشرين"، مجلة الحداثة الفارسية، المجلد ٢٢، العدد ١، ص ١١٣–١١٤. ١، ص ١٠٢–١٣٠، ٢٠٢١.

[٢١] د. س. البارود، تأملات في الحوار مع الإله: دراسة مقارنة (أطروحة دكتوراه، كلية الدراسات الشرقية والإفريقية، جامعة لندن)، ٢٠٢٢.

[٢٢] إ. دي بلاسيو، "لغة وأسلوب الشاعر المعاصر الراس: فنان مميز في السيناريو الموسيقي اللبناني"، مجلة دراسات عربية، المجلد ٣٢، ص ١١٧، ٢٠٢١.

[٢٣] ر. إلهامي، "تأثير فيكتور هوجو على الشعر العربي: دراسة في الترجمة الأدبية"، الترجمة والأدب المقارن، المجلد ١٦، العدد ١، العدد ١، ٢٠١١. ٣، ص ٧٨–٩٦، ٢٠٢٠.

[٢٤] ح. بلحاج، ترجمة التحولات الدلالية في الشعر العربي (أطروحة دكتوراه، جامعة عبد المالك السعدي)، ٢٠٢٢.